الأدب

خلف الكتاب والادباء والشعراء السومريون والبابليون نتاجا غزيرا يتسم باصالته وتنوع ضروبه . وقد وصلتنا نماذج مختلفة من مؤلفاتهم مدونة على رقم الطين التي اكتشفت في المدن القديمة داخل القطر وخارجه . وكانت مكتبة آشور بانيبال في تل قوينجق اكثر المواقع الشهيرة في هذا المضمار اذ عثر فيها على ابرز التآليف الأدبيـــة مما اكتسب شهرة واسعة بين الاقدمين والمعاصرين على حد سواء . ومما يستحق الذكر ويدعو الى الاعجاب ، ان الادباء والكتاب العراقيين القدماء لم يتركوا ضربا من ضروب الأدب الا وطرقوه . فقد الفوا القصص والاساطير والملاحم ، وكتبوا الصلوات والادعية والترانيم ، وجمعوا الامثال والحكم والنصائح ، ونظموا قصائد الغزل والمناحات والى غير ذلك كثير . وبالاضافة الى اهمية هذه المؤلفات من وجهات النظر الأدبية والدينية والتأريخية فان بعضها يعتبر بحق من اقدم المحاولات المدونة لبحث ومناقشة مسائل فلسفية أساسية كالحياة والموت ، خلق الكون والانسان ، الخير والشر والثواب والعقاب وقبل ان نخوض في تفاصيل اشهر القطع الادبية السومرية والبابلية نرى من الضرورى التعرف على اهم الخصائص التي تميز بها الآدب في بلاد وادى الرافدين .

اولا : يعتبر أدب وادى الرافدين اقدم ادب نتجه الانسان ، اذ تعود اقدم النصوص الادبية المعروفة في العراق القديم الى اواخر الالف الثالث واوائل الالف الثاني قبل الميلاد . ولنا ان نفترض بطبيعة الحال ان فترة طويلة من الزمن قد مضت كان خلالها هذا النتاج الادبي يتداوله الناس شفاها قبل ان يدون على رقم الطين . وبالمقارنة مع وادى النيل على سبيل المثال فلم تصلنا نماذج ادبية من عصر الاهرام الذى يعود تاريخه الى الالف الثالث قبل الميلاد . كما ان اقدم النصوص الكنعانية المكتشفة في اوغاريت (رأس شمرة) تعود الى منتصف الالف الثاني قبل الميلاد ، اى ان التدوين الادبي في بلاد الشام متأخر بحوالى خمسة قرون عن بلاد ادى الرافدين . اما بالنسبة للعبرانيين فمن المعروف ان اقـدم النصوص الادبية تتمثل في التوراة التي لا يتجاوز تأريخها القرن السادس

Scanned by CamScanner

قبل الميلاد وبالمثل فأن اقدم التآليف الادبية في بلاد اليونان كالاوديسة والاليـاذة لا يتجاوز زمن تدوينهما القرن السابع او الثامن ق .م .

ثانيا : حافظ ادب وادى الرافدين على اصالته وقدمه فقد وصلنا بشكله الاصلي الذى دونه الاقدمون انفسهم على رقم الطين . وبتعبير آخر فأنه لم يتعرض ، مثلما تعرضت آداب بعض الشعوب الى اى تحوير او حذف او اضافات على يد النساخ وجامعي النصوص الادبية . ومن جهة اخرى فقد حرص النساخ البابليون والآشوريون انفسهم كل الحرص على ان تكون النسخ التي يكتبونهـــا مطابقة كليا للنسخ القديمة .وكانوا يذكرون عادة في تذييلاتهم للنصـــوص الادبية العبارة المشهورة : كتب ودقق وفق النسخة الاصلية . ثم ان تدوين ادآب بلاد وادى الرافدين بالخط المسمارى وهو خط تمرست فيه طبقة محدودة من النساخ فقط ، كان عاملا مهما في ان يحافظ على اصالته وطابعه القديم على مر العصور التأريخية .

ثالثا : ان النتاج الادبي في بلاد وادى الرافدين كان حصيلة ابداع رجال الأدب السومريين .والبابليين فمن المعروف ان النصوص الادبية مثل غيرها من النصوص الاخرى في العراق القديم مدونة اما باللغة السومرية او الاكدية (البابلية او الآشورية) والاخيرة من عائلة اللغات الشرقية لقبائل الجزيرة . ومن المعروف ايضا انه كان للسومريين الفضل الاول في استنباط اقدم وسيلة للتدوين والتي عرفت بالكتابة المسمارية وقد اخذها عنهم الاكديون والبابليون فطوروها واضافوا اليها كثيرا من القيم الصوتية الجديدة مما يلائم لغتهم الجزيرية . وفي نطاق الادب وجد الجزيريون في التراث السومري مادة غزيرة فدرسوها واستنسخوا وثائقها القديمة وقد اخذ الجزيريون الهيكل العام للقصة والاسطورة والملحمة السومرية ولكنهم اضافوا الى ذلك الهيكلُ لحماُ وعصباُ ، على حد تعبير احد الباحثين ؛ فخلقوا من ذلك ادبا جديدا في شكله قديما في اصوله .

رابعا : لقد ترك الادب العراقي القديم اثر واضحا في آداب الامم القديمة وانتشر الى رقعة واسعة من العالم القديم . وتزداد معرفتنا باهمية عمق هذه التاثيرات

Scanned by CamScanner

الادبية بين فترة واخرى بفضل التقدم المضطرد في حقل الدراسات المسمارية الذى ساعد على توفير تراجم ودراسات حديثة لكثير من الاعمال الادبية بعضها لم يكن معروفا من قبل وبعضها الاخر كان معروفا بشكل جزئي فقط بسبب تهشم رقم الطين وقد تبين للباحثين على ضوء هذه الدراسات ان كثيرا من التآليف والافكار الادبية قد انتشرت من وادى الرافدين الى بلدان اخرى مثل سوريا وفلسطين وبلاد الحثيين ووادى النيل واليونان . فملحمة كلكامش على سبيل المثال ملأت شهرتها العالم القديم حتى انه عثر على بعض اجزائها في بوغازكوى (عاصمة الامبراطورية الحثية) كما عثر هناك ايضا على ترجمة حثية واخرى خورية لبعض اجزاء الملحمة . وكان من بين النصوص المكتشفة في تل العمارنة بوادى النيل نسخة من القصة البابلية المعروفة بقصة ادبا الذى فوت على نفسه وعلى البشرية فرصة الحصول على الخلود ، كما عثر على رقميـــن من القصة المعروفة بقصة فقير من نفر في سلطان تبة وهو احد تلول حران في اعالي نهر الباليخ . ويجد الباحث ان الثوراة قد حوت كثيرا من المفاهيم الدينية والتاثيرات البابلية متمثلة في قصص خلق الكون والانسان وقصة الطوفان وقصة مولد موسى التي تشابة مولد سرجون الاكدى ونشيد الانشاد لسليمان الذى له ما يناظره في الأدب السومرى في اناشيد الزواج المقدس للاله تموز .

خامسا : يعتبر الأدب في بلاد بلاد وادى الرافدين مرآة صادقة لطبيعة الحياة الدينية والاجتماعية والبيئة الجغرافية لسكان بلاد وادى الرافدين . فالذى يدرس النتائج الادبي للسومريين والبابليين يستطيع ان يتعرف على طبيعة تفكيرهم في الكون والالهة وعلى تفسيرهم للاحداث والظواهر الطبيعية . والملاحظ في الادب العراقي القديم انه يطغى عليه الاتجاه الاسطورى . فعلى الرغم من ان العراقيين القدماء عالجوا في اساطيرهم قضايا مهمة وخطيرة مثل خلق الكون والانسان ومختلف الظواهر الطبيعية الاخرى الا ان معالجتهم لمثل هذه القضايا لم تكن على اساس فكر موضوعي ومنطقي مهم بل كانوا في معالجتهم للقضايا ينظرون اليها دائما من وجهة من يحدثها وليس كيف

Scanned by CamScanner

ولماذا حدث . فسلالة اور الثالثة على سبيل المثال سقطت لجملة من الاسباب السياسية والاقتصادية لكنها من وجهة النظر السومرية كانت نتيجة لغضب الاله انيل الذي ارسل جحافل المارتو (الاموريين) ضدها .

ومن جهة اخرى فقد قلنا عند حديثنا عن الحياة الدينية ان سكان وادي الرافدين اظفوا على آلهتهم جميع صفات البشر وهذا ماأسميناه بمبدأ التشبيه . ولهذا نجد ان الالهه السومرية تشخص في القصص والاساطير والملاحم وهي تتصف بصفات البشر فهي تغضب وترضى ، تحب وتكره ، تقسو وترحم ويلاحظ ايضا انه لاتوجد حجب بين الالهة والبشر في القصة او الاسطورة فالالهة تتحدث وتتعامل مع الانسان من خلال احداث القصة او الاسطورة لكنها بطبيعة الحال تتميز عنه بالسمو والقدسية والخلود .

ومن الطبيعي ايضا ان يعكس الأدب العراقي القديم نمط الحياة والبيئة الزراعية التي كان يعيشها الشعراء والادباء وان تكون الصور والتشابيه معبرة عن طبيعة السهل الرسوبي ومنتزعة من واقعه حيث تمتد الاراضي الى ما لانهاية ويكون للسماء سحر جميل اثناء الليل وحيث يكون للنهرين العظيمين دجلة والفرات وللعواصف والفيضانات اثر بارز على حياة الانسان .

سادسا : تتميز النصوص الادبية في وادي الرافدين بقلة عددها النسبي اذا قيست بغيرها من النصوص الاخرى التى تتناول مختلف الجوانب للحياة اليومية مثل النصوص الاقتصادية ووثائق البيع والشراء والمعاملات التجارية على اختلاف انواعها وعلى الرغم من انه لا توجد احصائية دقيقة بمقدار النصوص المسمارية التي تم الكشف عنها في المواقع الاثرية السومرية والبابلية والاشورية فيمكن القول بصورة عامة انه في الوقت الحاضر تناهز فيه النصوص المسمارية المختلفة .

---

(١) حول هذه النقطة ولمزيد من التفاصيل بخصوص المميزات العامة للأدب في وادى الرافدين انظر ، طه باقر ، مقدمة في ادب العراق القديم ، ص ٣٢ وما بعدها . .

Scanned by CamScanner

عدة الاف (وربما مليون رقيما) فانه لا يزيد عدد النصوص الادبية على اربعة الاف رقيم فقط .وتتميز النصوص الادبية عن غيرها بكونها مدونة باسلوب ادبي فني وبكونها تعالج موضوعا او فكرة معينة .

نماذج من أدب بلاد وادي الرافدين :

ملحمة كلكامش : -

من المتفق عليه بين المختصين أن ملحمة كلكامش المدونة باللغة البابلية تعتبر من اشهر التآليف في بلاد وادى الرافدين كما انها في الوقت نفسه من اطول النصوص الادبية المكتشفة لحد الآن وقد وصلت الينا ملحمة كلكامش مدونة على اثني عشر رقيما اكتشف معظمها في مكتبة آشور بانيبال في مدينة نينوى ، كما عثر على بعض الرقم التي تحتوى على اجزاء من هذه الملحمة في مدن اخرى . وتدل الدراسات على ان ملحمة كلكامش بصيغتها النهائية قد دونت في العصر البابلي القديم كما تدل بعض الرقم المكتشفة في مدينة بوغازكوى عاصمة الحيثيين في تركيا على ان هذه الملحمة كانت قد ترجمت الى لغات اخرى مثل الحثية والخورية . وتشير الابحاث ايضا الى ان ملحمة كلكامش ترجع الى فترة تسبق العصر البابلي القديم اذ من المؤكد انها استمدت اصولها من اربع قصص سومرية على الاقل تدور حول كلكامش والذى استطاع الادباء البابليون من ان ينسجوا منها ملحمة رائعة كما وتدل الدراسات المسمارية على ان الرقيم الاخير في ملحمة كلكامش ، وهو الرقيم الثابي عشر ، والذى هو ترجمة لاحدى القصائد السومرية عن كلكامش ، لا يعود بالاصل الى ملحمة كلكامش في شكلها البابلي القديم وانما اضيف الى الملحمة في وقت متأخر . وترجع حوادث الملحمة من الوجهة الزمنية الى عصر فجر السلالات الثاني حيث كان يحكم كلكامش في مدينة الوركاء . وقد وصف كلكامش بأن ثلثه بشر وثلثيه اله كما نسبت اليه أم هي الالهة ننسون واب هو رئيس مدينة كولاب (بالقرب من الوركاء) .

تبدأ ملحمة كلكامش بذكر مآثر هذا الملك وتذكر بانه كان حاكما جباراً في مدينة الوركاء وانه كان يجور على الناس فلم يترك ابنا لأبيه ولا عذراء طليقة لحبيبها وتذكر

Scanned by CamScanner

الملحمة أن الالهة استمعت الى استغاثة سكان مدينة الوركاء بخصوص طلم كلكامش فعهدت الى احدى الالهات الخالقات اسهما آرورو ان تخلق خصما لكلكامش لتحد من تعسفه في الارض .وبالفعل قامت هذه الالهة بخلق انكيدو والذى لعب دوراكبيرا الى جانب كلكامش في هذه الملحمة . وتذكر ملحمة كلكامش ان انكيدوكا في اول الامر انسانا متوحشا يعيش مع البهائم في المراعي وان جسمه كان مغطى بالشعر مثل سائر الحيوانات الاخرى وكانت له ظفائر تتدلى على كتفيه تشبه السنابل وكان يأكل الاعشاب مع الغزال ويرد موارد المياه معها . ويرجع اكتشاف انكيدو في البرارى مع الحيوانات الى احد الصيادين الذى اخبر اباه بان هناك انسانا متوحشا يخرب دائما مصايده ويحول دونه وصيد الحيوانات . فنصحه ابوه بأن يذهب الى كلكامش ويخبره بالامر ويطلب منه ان يرسل فتاة جميلة لاغراء هذا الانسان المتوحش وتأتي به من البادية الى المدينة .وتخبرنا الملحمة بان كلكامش لجأ الى هذه الوسيلة بالفعل وان الفتاة استطاعت ان تستحوذ على عواطفه وبعد ان قضى انكيدو مع الفتاة فترة من الزمن اشتاق مرة ثانية الى حياة البرارى ومصاحبة الغزال لكنه سرعان ماكتشف بان هذا الحيوان صار ينفر منه ويبتعد عنه .فعاد أنكيدو الى الفتاة التي اقنعته بالعدول عن حياة التوحش وبالذهاب معها الى مدينة الوركاء . واخير قبل انكيدو فكرة الذهاب معها . وكان من الضرورى تعليمه قبل كل شيء ابسط اساليب الحياة المتحضرة مثل طريقة الاكل وارتداء الملابس وتذكر الملحمة ان انكيدو بدأ في حيرة من امره عندما قدم اليه الطعام والشراب لأنه لم يألف مثله من قبل . وبعد ان اكل وشبع وضع على جسده العارى لباسا وأخذ يستغل وقته في هذه المرحلة من حياته المتحضرة بمساعدة رعاة الاغنام والماشية .

بقى انكيدو على تلك الحال الى ان جاءه رسول ذات يوم ليصطحبه الى مكان في مدينة الوركاء حيث كانت تجرى احتفالات كبيرة يحضرها كلكامش . وعند وصول انكيدو الى مكان الاحتفال ادرك الجمهور بأنه الرجل الوحيد الذى يصلح لمقابلة البطل

Scanned by CamScanner

كلكامش في نزال مكشوف امامهم ليعرفوا اى الاثنين اقوى واجدر بالرئاسة . وسرعان ما اشتبك الخصمان ، كلكامش وانكيدو واستمر الصراع بينهما فترة من الزمن اهتزت خلالها الابواب والجدران لهول قوتهما . وكانت النتيجة ان تغلب كلكامش على خصمه انكيدو . ومع ذلك فلم يحمل احد من الخصمين ضغينة للآخر . بل على العكس سرعان ما اصبحا صديقين حميمين .

اتفق كلكامش مع صاحبه انكيدو على ان يقوما بحملة ضد خمبابا المخلوق المخيف الذى كان يحرس غابات الأرز والذى كان زئيره عباب الطوفان ومن فمه تنبعث نار ونفسه الموت الزؤام على حد تعبير الملحمة .

وتزود الصديقان بالفؤوس والخناجر وشرعا في مغامرتهما على الرغم من نصح رجال الوركاء لهما بالكف عن مثل هذه الحملة لكونها محفوفة بمخاطر جمة . وعندما وصلا غابات الارز سرعان ما تملك الخوف كلكامش وصديقه انكيدو عندما سمعا صوت خمبابا وهو يدوى في ارجائها هائجا ومزمجرا . وتهيأ خمبابا للهجوم على الصديقين اللذين دب فيهما الرعب فراحا يتضرعان الى الاله شمش ليعينهما على الخلاص من الهلاك فاستجاب لهما الاله حيث أهاج الرياح العاتية وساقها على خمبابا فامسكت به وشلت حركته .وعندئذ راح خمبابا يتضرع اليهما أن يبقيا عليه وانه مقابل ذلك سيجعل غابة الأرز المسحورة ملكا لهما . فرق قلب كلكامش وكاد ان يبقى عليه لكن انكيدو اصر على قتله . فقتلاه وقطعا رأسه .

وبعد هذا الانتصار عاد الصديقان الى مدينة الوركاء . وتذكر الملحمة ان عشتار الهة الحب والجمال ، اعجبت بكلكامش وبطولته ولهذا فقد طلبت منه ان يتزوجها وانها مقابل ذلك سوف تغدق عليه العطايا وتسخر كل مافي طاقتها لخدمته .غير ان كلكامش رفض الزواج منها واكثر من ذلك فقد وجه اليها عبارات جارحة عندما قال لها : انت قصور يتحطم فيه الابطال .... انت قار يلوث حامله وقربة تبلل من يحملها ...فأى من عشاقك من أبقيت على حبه تعالي اعدد لك عشاقك .. فمن أجل تموز زوج صباك مازلت تنوحين سنة بعد أخرى ....ويستمر كلكامش في ذكر عشاق عشتار الواحد تلو الآخر وكيف انها تنكرت لهم جميعا . وطبيعي ان

Scanned by CamScanner

تتفجر عشتار غيضا فتذهب باكية الى أبيها اله السماء «آنو» وتطلب منه ان ينتقم لهـا من كلكامش لأنه اهانها . وتحت ضغط عشتار خلق ابوها ثورا مقدسا ليقضي به على كلكامش .وعندما انزل الثور السماوي الى الارض اخذ يفتك في سكان مدينة السوركاء حتى سقط من جراء ذلك مات القتلى .وعند ذاك برز له كل من أنكيـــدو وكلكامش واستطاعا من قتله على مرآى من عشتار التي كانت تراقب النزال من شرفات السور .

بعد ذلك اخذ كلكامش قطعة من الثور ورماها في وجه عشتار قائلا : لو نالتك يـداي لفعلت بك مثلما فعلت بهذا الثور .

وبعد ان احتفل الصديقان ، بانتصارهما رأى انكيدو في تلك الليلة حلما قصه على كلكامش وكان ملخصه . ان الالهة العظام آنو وانليل قد اجتمعوا يتشاورون وقال آنو لانليل :

لانهما قتلا الثور السماوى وقتلا خمبابا فينبغي ان يموت ذلك الذى اقتطع اشجار الارز ولكن انليل اجاب قائلا : ان انكيدو هو الذى سيموت وكلكامش لن يموت .

وتذكر الملحمة ان انكيدو اعتراه حزن شديد بسبب تلك الرؤيا وتحسس بان نهايته قريبة ولم يلبث ان مرض انكيدو ، فلازم الفراش اثنى عشر يوما والدموع تنساب من عينية حتى ادركه الموت . ولم يصدق كلكامش ان صاحبه انكيدو قد مات بالفعل اذ كيف يمكن ان يموت وهو القوى الجبار الذى تحمل معه اعباء الاسفار ونازل معه خمبابا والثور السماوى .

فها هو كلكامش يرثي باكيا رفيقه انكيـــدو :

اسمعوني ايها الشيوخ

من اجل انكيدو ، خلي وصاحبي ، ابكي وانوح نواح النكلى

انه الفأس التي في جنبي وقوس يدى

Scanned by CamScanner

وفرحتي وبهجتي وكسوة عيدى .لقد ظهر شيطان رجيم وسرقه مني
خلي واخي الاصغر الذي أقتنص حمار الوحش فـي التـــلال
والنمور في الصحارى
أنكيدو ، صاحبي واخي الاصغر
الذى اقتنص حمار الوحش في النجاد والنمر في الصحارى
تغلبنا معا على الصعاب وارتقينا اعالي الجبال
ومسكنا الثور السماوى ونحرناه
وقهرنا خمبابا الساكن في غابة الارز
فأى سنة (من نوم) هذه التي غلبتك وتمكنت منك ؟
طواك الظلام فلا تسمعني
ولكن انكيدو لم يرفع عينيه
فجس قلبه ولكنه لم ينبض
وعند ذلك غطى صديقه كالعروس
وأخذ يزأر حولـه كالاسد
وكاللبؤة التي اختطفت منها اشبالها
وصار يروح ويجيء امام الفراش وهو ينظر اليه
وينتف شعره المضفور ويرميه على الارض

آنذاك فقط بدأ الخوف يدخل الى قلب كلكامش لأنه ادرك ولاول مرة بأنه مهدد هو الآخر بالموت واصبح واضحا لديه بأنه مهما بلغت قوة وجبروت الانسان فأنـه لابد من أن يموت .ولهذا فقد هام كلكامش على وجهه في السهول يبكي بمرارة علـى صاحبه انكيدو ويبحث عن وسيلة للتخلص من الموت والحصول على الخلود .وقصـــد كلكامش من اجل ذلك اوتانبشم رجل الطوفان الذي سبق وان منحته الالهة الخلـود لأنه انقذ نسل البشرية من الفناء عندما صنع السفينة وحمل على ظهرها الانسان والحيوان والطير اثناء الطوفان الاعظم .ومن أجل الوصول اليه كان لابد من عبور جبال «ماشو» التي لعلها جبال لبنان والتي تصفها الملحمة بانها تقع على حافة العالم والتي تمر منها الشمس

Scanned by CamScanner

ليلا ونهاراً .وعند مدخل هذه الجبال وجد كلكامش حراسا على شكل مخلوقات غريبة مركبة من البشر والعقرب . وكانت نظراتهم الموت المحتم . هير ان هذه المخلوقات سرعان ما عرفت كلكامش وادركت طبيعته المركبة من ثلثي اله وثلث بشر فسمحت له بالعبور من خلال بوابات الجبل وبعد ان قطع كلكامش مسافة احد عشز فرسخا في ظلمة قاتمة بدأت اشعة الشمس تظهر له . وجد كلكامش في السير الى ان وصل الى بستان كانت اشجاره تحمل احجارا كريمة . وهناك تكلم كلكامش مع اله الشمس الذى قال له : لأى شيء تجوب الارض يا كلكامش انك سوف لن تجد الحياة التي تبحث عنها ولم يثن ذلك عن عزم البطل فواصل سيره الى ان ادرك مقر سيدورى صاحبه الحانة التي كانت تسكن على ساحل البحر .وعندما نظرت اليه صاحبه الحانة ادركت طبيعته الالهية البشرية وادركت انه جاء من مسافة بعيدة جدا لان التعب والاعياء كانا باديين على وجهه وقص كلكامش على صاحبة الحانه ما جرى له وما من رحلته واخبرها بانه عازم على الوصول الى رجل الطوفان اوتانبشتم وطلب منها ان تدله على الطريق . فاجابته صاحبة الحانة بان الطريق اليه صعب ومحفوف بالمخاطر وان هناك بحرا واسعا يحول دونه ودون اوتا نبشتم ولايستطيع عبوره الا اله الشمس وان هناك مياه الموت في وسط ذلك البحر . وفي الاخير اشفقت صاحبة الحانة على كلكامش فأخبرته بوجود ملاح لااوتا نبشتم (اسمه اورشنابي) يستطيع أيصاله الى غايته . وتمكن كلكامش من التعرف على الملاح ومن اقناعه بأن يأخذه معه في سفينته ليعبُر البحر .واخيرا وصل كلكامش الى الساحل الاخر للبحر وهناك قابل اوتانبشتم وتحدث اليه طويلا .وطلب منه كلكامش ان يخبره كيف استطاع الحصول على الخلود في الحياة فأجابه اوتانبشتم بان قصة حصوله على الخلود تعود به الى مدينة شروباك (فارة) حيث اجتمع الالهة وقرروا افناء البشرية عن طريق احداث الطوفان العظيم .غير ان اله الحكمة «ايا» أفشى قرار الالهة (اليه) وأمره ببناء سفينة ضخمة بنجوبها واهله .وهنا يبدأ اوتانبشتم بوصف للسفينة وكيف أنها بنيت بسبعة طوابق كما يذكر ابعادها وما استلزم بناؤها من جهد . وبعد ان انتهي الصناع والعمال من بناء السفينة وضع اوتابنشتم على ظهرها اهله واقاربه وعدد من العمال كما حملها بالمؤن والحيوانات وبعض الطيور .

Scanned by CamScanner

وفي الصباح الباكر ظهرت في السماء سحابة سوداء كانت نذيرا بحلول الطوفان ومن ثم اخذ الاله ادد يرعد بعنف وجعل الاله ننورتا المياه تطغى من فوق السدود ثم خيم الظلام وهبت العواصف المدمرة وطغت على كل ما في الارض واستمر الطوفان على هذه الحال سبعة ايام حتى ادرك الخوف الالهة انفسهم لهوله وشدة بأسه فارتدوا مذعورين الى السماء وتذكر الملحمة ان الالهة اجتمعت لتتدبر الامر وان الالهة عشتار والاله ايا وجها لوما شديدا الى الاله انليل الذى كان السبب الاول في احداث الطوفان الذى افنى البشر وجعلهم يملأون البحر كالاسماك وبعد ان توقفت العواصف وهدأت الرياح نظر رجل الطوفان اوتانبشتم من سفينته فلم ير سوى البحر الواسع .وبعد فتـــرة ظهرت له جزر صغيرة تنتشر هنا وهناك وكانت تلك الجزر في الحقيقة قمم الجبال قبل حدوث الطوفان .وأخيرا رست السفينة على أحدى هذه الجزر وهي قمة جبـــل اسمه نصير .وبعد سبعة أيام اخذ مستوى المياه بالانخفاض فاطلق اوتانبشتم حمامـــة ولكنها لم تجد مكانا تحط فيه فعادت الى السفينة واستمر اوتانبشتم يطلق الطيور الواحد بعد الاخر حتى اطلق الغراب . فنظر الغراب ورأى ان المياه كانت تنحسر وان الارض اخذت تظهر ثانية فلم يرجع الى السفينة وكان نذيرا بانتهاء الطوفان . وعندئذ بدأ اوتنايشتم ينزل من السفينة كل ما عليها من بشر وحيوانات وطيور واخذ يستعد لتقديم القرابين الى الالهة على قمة الجبل .ويذكر اوتانبشتم وهو يحدث كلكامش ان الالهـــة تجمعت حول القربان وكان من جملة من حضر الالهة عشتار التي كانت تبكي وتنوح لأن الالهة اقدمت على احداث الطوفان مما سبب في هلاك ابنائها من البشر . اما الاله انليل فقد كان غاضبا لان قرار الالهة لم ينفذ بالتمام اذ انه كان يريد تدميـــر كل مخلوق على الارض وعدم نجاة اى كائن من الطوفاز . وعندئذ بدأت الالهة عشتار توجه اللوم الى الاله انليل لاقدامه على احداث الطوفان وتبعها في ذلك اله الحكمة ايا . وفي النهاية رق قلب الاله انليل فصعد الى السفينة ووقف بين اوتانبشتم وزوجته وقـــال لهما لقد كان اوتنايشتم في السابق بشرا ولكنه وزوجته اصبحا الآن الهين مثلنا . وهكذا حصل اوتنايشتم على الخلود أما بالنسبة لكلكامش .فالمسألـــة لم تكن سهلـة اذ قـــال لـــه اوتنايشتم : تـــرى من سيجمـــع الالهـــة مـــن أجلـــك لا عطائك

Scanned by CamScanner

الحياة التي تنشدها . ومع ذلك فقد اراد اوتا نبشتم ان يمتحن كلكامش ويظهر له عجز الانسان عن تحقيق اشياء كثيرة . اذ طلب اوتنايشتم من كلكامش ان يبقى مستقيظا سبعة أيام وسبع ليالي .وحاول كلكامش ان يفعل ذلك ولكن سرعان ما ادركه نوم عميق وبقى نائما حتى أيقظه اوتانبشتم .وعندئذ ادرك كلكامش أنه فشل كليا في محاولته وأنه فوت على نفسه فرصة ثمينة وأزاء هذا الفشل وخيبة الأمل استشفت زوجة اوتنايشتم على كلكامش اذ عز عليها ان يعود الى مدينة الوركاء خائبا بعد رحلته الطويلة الشاقة فاقنعت زوجها ان يكافأ كلكامش بشيء بديل عن الخلود . فوافق اوتانيشتم واخبر كلكامش بوجود نبات سحرى في قاع البحر يعيد الشيخ الى صباه . وذهب كلكامش باحثا عن ذلك النبات . وكان عليه ان يعلق حجرة ثقيلة برجليه من أجل ان يستطيع الغوص الى الاعماق للوصول الى النبات .وأستطاع بعد جهد جهيد من الحصول على النبات . بعد ذلك سار كلكامش وبصحبته ملاح اوتانبشتم في طريقه الى مدينة الوركاء . وتذكر الملحمة انهما توقفا عند بركة للماء طلبا للراحة وان كلكامش نزل ليستحم في البركة ولكن لسوء الحظ فأن حية شمت رائحة النبات فخرجت من جحرها واختطفت النبات ثم نزعت عنها علاف جلدها (١) وعند ذلك جلس كلكامش واخذ يبكي حتى جرت دموعه على وجنتيه وكلم اور– شنابي الملاح قائلا : –

من اجل من يا اور– شنابي كلت يداى ؟

ومن اجل من استنزفت دم قلبي

لم احقق لنفسي مغنما

اجل لقد حققت المغنم الى اسد التراب (٢) .

---

(١) ومعنى ذلك ان الحية استطاعت بفعل ذلك النبات السحرى ان تجدد شبابها بنزع جلدها كل عام .

(٢) من نعوت الحية في بلاد وادى الرافدين .

Scanned by CamScanner